مفهوم السياسة عند العرب قبل الإسلام

فارس إشتي

١ . تقديم :

تباينت آراء المفكرين السياسيين حول مفهوم السياسة تبعاً للزمن الذي عاشوه والأرض التي استظلتهم والمنبت الاجتماعي الذي ترعرعوا فيه والهوى السياسي والفكري الذي قاد خطواتهم والمناخ الحضاري الذي حكم تفكيرهم.

فالمفكرون اليونانيون فهموا السياسة نظاماً لسكان الدولة والدولة هي الدولة ـ المدينة فقدم كل منهم تصوراً لنموذج التعامل داخلها وطبيعة القيمين على أمورها وعلاقتهم بمواطني الدولة فكان هاجسهم المواطن وحريته والعدالة[١].

والمفكرون الرومان فهموا السياسة نظاماً لمواطني الامبراطورية التي تجاوزت، بمداها، حدود المدينة اليونانية فانكبّوا على تقديم تصور للعلاقة بين مواطني هذه الدولة المترامية الأطراف وتصور للعلاقة بين روما، المدينة والقيادة،

---

(١) انظر: جورج سابين، تطور الفكر السياسي، الكتاب الأول، ترجمة حسن جلال العمروسي، دار المعارف بمصر، ط ١٩٥٤.
وفرنسوا شاتليه وآخرون، تاريخ الأفكار السياسية، ترجمة د. خليل أحمد خليل، معهد الانماء العربي، ط ١، ١٩٨٤.

وبقية الأصقاع فكانت المساواة والقانون[٢].

ومفكرو العصر الوسيط فهموا السياسة نظاماً للبشر عامة فاختلط الديني بالدنيوي والسلطة الزمنية المحدودة بالسلطة الروحية غير المحدودة وكان تصارعهما محور السياسة[٣].

وأُدخلت العلاقة بين المجتمع والدولة وموقع القوى الفاعلة فيه من الحزب إلى القوى الضاغطة الأخرى في صلب السياسة في العصور التي تلت[٤].

وانحصر مفهوم السياسة، في عصرنا الراهن، بأحد اطارين: علم حكم الدولة أو فنها أو الاثنان معاً أو علم السلطة، وإن تشعبت الآراء في حدود الدولة أو السلطة، موضوع السياسة، وفي نوعية العلاقة التي تربط رأس الدولة أو صاحب السلطة بالمواطنين أو المقودين في الجماعة وفي طبيعة المؤسسات التي تنظم العلاقات في الجماعة.

إلّا أن هذا الاختلاف القديم أو الراهن حول مفهوم السياسة لم يخرج عن محاور أساسية شكلت قاعدة لأيّ مفهوم للسياسة وأرضية دار حولها الحوار انطلاقاً من اعتبار السياسة ما يتعلق بالشأن العام (الجماعة، المجتمع، الأمّة، العالم) وتنظيمه. ودارت الأبحاث والحوارات حول:

ماهية الجماعة وحدودها.

ومن يشرف على تنظيم الجماعة وكيفية ارتقائه هذا الموقع، وصفاته وعلاقاته بباقي أعضاء الجماعة.

وما هي العلاقات التي تحكم أعضاء الجماعة فيما بينها وفيما بينها وبين المشرفين عليها وفيما بينها والخارج.

---

(٢) انظر المصدرين السابقين.

(٣) ن.م وبالأخص الكتاب الثاني من تطور الفكر السياسي، الصادر عن نفس الدار سنة ١٩٦٤.

(٤) راجع فرنسوا شاتليه، تاريخ الأفكار السياسية، م.س.

وإذا كان الثابت في السياسة اعتبارها تتناول الجماعة وتنظيمها وما يتفرع عن ذلك من تحديد للجماعة والعلاقات التي تحكمها فإن المتغير فيها هو تحديد إطار الجماعة ونوعية التنظيم السائد بينها أو المقترح لها من تحديد لمصدر السلطة فيها وطرق التصرف بها وعلاقة الأفراد فيما بينهم وبين السلطة.

وهذا التغير هو الذي حدا بالمفكرين السياسيين إلى تقديم اجابات عن الأسئلة المثارة في القضايا المتغيرة بغية تقديم حلول مثلى لقضايا السياسة المختلفة وهو الذي حدا بنا لطرح السؤال: ما هو مفهوم السياسة عند العرب؟ في محاولة مقصودة لتتبع هذا المفهوم عبر التاريخ من جهة ولمقارنة هذا المفهوم بغيره من المفاهيم لدى الأمم الأخرى.

والملفت للنظر أن الكتابات التي وصلتنا من عصر ما قبل الإسلام والعهد النبوي والعهد الراشدي لم تستعمل تعبير «سياسة» بالمعنى المتعارف عليه حالياً، لا بل لم نجد هذا التعبير متداولاً بأي معنى آخر وما استعمل للتعبير عن معنى السياسة الحالي هو «الأمر» و «الملك» وأضيف في العهد الراشدي تعبير «الخلافة» و «الإمامة».

ولعل البداية الأولى لاستعمال تعبير السياسة بالمعنى الحالي قد بدأت مع كتّاب القرن الثاني للهجرة وأصبحت سائدة في القرون التي تلت وإن كنا نلحظ لدى بعض من كتب عن عهد ما قبل الإسلام والعهد الراشدي والأموي (القرن الأول للهجرة) استعمال كلمة ساس بمعناها الحالي.

ففراشة بن عمرو العبسي، الشاعر الجاهلي، قال:

فلا قوم إلّا نحن خير سياسة وخير بقيات بقين وأولا[٥]

وأبو جعفر الطبري (٢٢٤ ـ ٣١٠ هـ) روى قول اعرابي لعمر بن الخطاب أثناء خلافته (١٣ ـ ٢٣ هـ)[٦]:

(٥) مطاع صفدي وايليا حاوي، موسوعة الشعر العربي، العصر الجاهلي، الجزء الرابع شركة خياط للكتب والنشر ـ بيروت ١٩٧٤، ص ١٥٧.

(٦) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، الجزء الرابع، دار المعارف بمصر، الجزء ٤، ص ٢٢٠.

ما ساسنا مثلك يا ابن الخطاب أبر بالأقصى ولا بالأصحاب
بعد النبي صاحب الكتاب

وروى أيضاً خطبة زياد بن أبيه عندما ولاه معاوية على البصرة (٤٥ هـ) ومما قاله: «أيها الناس، إنا أصبحنا لكم ساسة وعنكم ذادة نسوسكم بسلطان الله الذي أعطانا... فلنا عليكم السمع والطاعة فيما أحببنا ولكم علينا العدل فيما ولينا... فادعوا الله بالصلاح لأئمتكم فإنهم ساستكم المؤدبون لكم، وكهفكم الذي إليه تأوون ومتى يصلحوا تصلحوا»(٧).

وأتبع ذلك بالقول «وساس الناس سياسة لم يرَ مثلها»(٨).

كما روى:

«فانا قد جربنا وجربنا وسسنا وساسنا السائسون فوجدنا هذا الأمر لا يصلح آخره إلّا بما صلح أوله بالطاعة اللينة المشبه سرها بعلانيتها وغيب أهلها بشاهدهم وقلوبهم بألسنتهم ووجدنا الناس لا يصلحهم إلّا لين في غير ضعف وشدة في غير عنف».

كما ورد في ديوان الحطيئة تعبير سوس إذ قال:

لقد سوّست أمر بنيك حتى تركتهم أدق من الطحين(٩)
لعمري لقد امسى مع الامر سائس يصير بما ضر العدو اريب

كما أورد أحمد الشايب في تأريخه للشعر السياسي أبياتاً لشعراء أمويين ورد لفظ السياسة فيها مثل:

---

(٧) ن.م، الجزء ٥، ص ٢٢٠، وقد ذكر الجاحظ الخطبة في كتابه البيان والتبيين، الجزء ٢، ص ٦٢ ـ ٦٥، وأوردها محمد ماهر حماده في كتابه «الوثائق السياسية والادارية» للعصر الأموي.

(٨) ن.م، الجزء الخامس، ص ٢٢٢.

(٩) ديوان الحطيئة يشرح ابن السكيت وآخرين، تحقيق نعمان أمين طه، مطبعة الحلبي بمصر. ط ١٩٥٨، ص ٢٤٧ و ٢٧٨.

* قول يزيد بن ضبة مولى ثقيف في هشام بن عبد الملك (١٠٥ ـ ١٢٥ هـ).

ألا مَن مبلغ عني هشاماً ... فما منا البلاء وما بعدنا
ولينا الناس أزماناً طوالاً ... وسسنا وسدناهم وقدنا
وأتلد مجدنا أنا كرام ... بحد المشرفية عنه ردنا[١٠]

* قول الكميت الأسدي في هجاء بني أمية:

فقل لبني أمية حيث حلوا ... وإن خفت المهند والقطيعا
أجاع الله من أشبعتموه ... وأشبع من بجوركم أجيعا
بِمَرضيٍّ السياسة هاشمي ... يكون حياً لأمته ربيعا[١١]

* قول السيد الحميري مخاطباً السفاح (١٣٢ ـ ١٣٦ هـ):

دونكموها يا بني هاشم ... فجددوا من عهدها الدارسا
دونكموها فالبسوا تاجها ... لا تعدموا منكم لها لابسا
لو خير المنبر فرسانه ... ما اختار إلّا منكم فارسا
قد ساسها قبلكم ساسة ... لم يتركوا رطباً ولا يابسا[١٢]

* قول يزيد بن ضبة مفتخراً بنسبه:

ولينا الناس أزماناً طوالاً ... وسسناهم ودسناهم وقدنا
ألم ترَ من ولدنا كيف أشبى ... وأشبينا وما بهم قعدنا[١٣]

ونجد في قاموس الجمهرة لمحمد بن الحسن بن دريد (٢٢٣ ـ ٣٢١) معنى للسوس (مصدر السياسة) هو: «والسوس معروف يقال فلان من سوس صدق

(١٠) أحمد الشايب، تاريخ الشعر السياسي الى منتصف القرن الثاني، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٥، ص ٨.
(١١) ن.م، ص ١٦٥.
(١٢) ن.م، ص ١٧٠.
(١٣) ن.م، ص ١٩٤.

ومن توس صدق إذا كان من أصل صدق»[١٤] دون تطرق لجانب الأمر أو الملك كما فعلت القواميس اللاحقة[١٥].

إلّا أن هذا الأمر تغير في أواخر القرن الثاني للهجرة وأوائل القرن الثالث إذ نلحظ في كتاب ابن النديم «الفهرست» أسماء لكتب سياسية صدرت في هذه الفترة وإن لم يعطِ صاحب الفهرست (٣٧٧ هـ) عنواناً مستقلاً للسياسة في فهرسته مكتفياً بذكر عناوين ذات مضمون سياسي، مثل: في الفتوح، في المشورة، في العصبية، في البيعة، في الصلح، في الجهاز[١٦]. ويورد ابن النديم اسم كتاب «تدبير الملك والسياسة» لسهل بن هارون، الذي كان متحققاً بخدمة الخليفة المأمون (١٧٠ ـ ٢١٨ هـ) وصاحب خزانة الحكمة التي أسسها الخليفة للقيام بأعمال الترجمة[١٧]. واسم كتاب «الكتاب وسياسة المملكة وسيرة الخلفاء» لعلي بن عيسى المتوفى سنة ٣٣٤ هـ[١٨]. وكتاب «السياسة» للسرخسي[١٩]. وكتاب «السياسة والخلفاء والأمراء» للحلاج المتوفى عام ٣٠٩ هـ[٢٠].

إلّا أنه لم يرد في كتب كتّاب الفترة الأسبق والتي تبحث أمور السياسة تعبير السياسة مثل:

كتب الجاحظ (توفي عام ٢٥٥ هـ): الإمامة على مذهب الشيعة، إمامة بني العباس، وجوب الإمامة[٢١].

كتب ابن المقفع (توفي عام ١٣٩ هـ): «خداينامه في السير» «آيين نامه في

(١٤) محمد بن الحسن بن دريد، الجمهرة، حيدر آباد، ١٣٤٤ هـ. الجزء الثالث ص ١٩٨.
(١٥) الصحاح للجوهري (٣٩٣ هـ) ولسان العرب لابن منظور (٧٧١ هـ).
(١٦) ابن النديم، الفهرست، مكتبة الأسدي ومكتبة الجعفري ـ طهران، ١٩٧١، ص ١٤٠.
(١٧) ن.م، ص ١٣٣ ـ ١٣٤.
(١٨) ن.م، ص ١٤٢.
(١٩) ن.م، ص ١٦٦.
(٢٠) ن.م، ص ٢٤٣.
(٢١) ن.م، ص ٢١٠.

الآيين» و «التاج في سيرة انوشروان» والأدب الكبير والأدب الصغير[٢٢].

كما وصلتنا كتب تحمل عناوين سياسية ككتاب «الإمامة والسياسة» المنسوب لابن قتيبة المتوفى عام ٢٧٦ هـ[٢٣]. وكتاب «السياسة المدنية» للفارابي المتوفى عام ٣٣٩ هـ[٢٤].

كما ذكرت ترجمات لكتب سياسية فارسية ويونانية أشرنا إلى بعضها في ذكر عناوين ابن المقفع الفارسية ونذكر حنين ابن اسحق (المتوفي سنة ٢٦٠ هـ) الذي ترجم كتابي الجمهورية والنواميس لأفلاطون[٢٥]. وقد ذكرهما جرجي زيدان باسم «السياسة»[٢٦].

وهكذا نلحظ أن تعبير «السياسة» لم يأخذ معنى يشتم منه ما يتعلق بالشأن العام إلّا في مرحلة متأخرة نسبياً واقتصر وروده في هذا المعنى قبل ذلك على خطبة لزياد بن أبيه، وبعض الأشعار أيام الأمويين.

ونلحظ أول ما نلحظ ورود تعبير سياسة في القواميس في الصحاح لإسماعيل بن حمّاد الجوهري المتوفى سنة ٣٩٣ هـ. حيث يقول تحت سوس: سست الرعية سياسة وسُوّس الرجل أمور الناس إذا ملك أمرهم، ويستشهد ببيت من الشعر للحطيئة:

لقد سُوِّست أمر بنيك حتى تركتهم أدق من الطحين[٢٧]

في حين نرى تطويراً لمضمون التعبير في القواميس اللاحقة.

فابن منظور يعرّف السوس بالرئاسة، وساس الأمر سياسة: «قام به

---

(٢٢) ن.م، ص ١٣٢.
(٢٣) ابن قتيبة «الامامة والسياسة»، مطبعة الفتوح الأدبية، ١٣٣١ هـ.
(٢٤) الفارابي، السياسة المدنية، تحقيق د. فوزي نجار، المطبعة الكاثوليكية ـ بيروت، ١٩٦٤ م.
(٢٥) محمد عبد الرحمن مرحبا، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الاسلامية ص ٣٠٤.
(٢٦) جرجي زيدان، تاريخ التمدن الاسلامي، مطبعة الهلال، ١٩٣١، ص ١٥٢.
(٢٧) اسماعيل بن حماد الجوهري، الصحاح، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين ـ بيروت، ط ٢، ١٩٧٩، باب السين فصل السين.

والسياسة: القيام على الشيء بما يصلحه، وسوس الدواب إذا قام عليها وراضها. والسوس: الأصل والطبع والخلق والسجية[٢٨].

والزبيدي المتوفى عام ١١٧٤ هـ يعرف السوس بالطبيعة والأصل والخلق والسجية وسست الرعية سياسة (من المجاز) أمرتها ونهيتها، وساس الأمر سياسة قام به، والسياسة القيام على الشيء بما يصلحه، والسّوس الرياسة، ويعتبر من المجاز سُوّس فلان أمر الناس إذا صُيّر ملكاً أو ملك أمرهم[٢٩].

ولا نلحظ في الكتب التي وصلتنا وعنوانها السياسة تعريفاً محدداً لمفهوم السياسة، وإن كان مضمونها يتعلق بمضامين سياسية، فصاحب «الإمامة والسياسة» يتحدث عن تاريخ الخلفاء منذ اجتماع السقيفة والبيعة للخليفة أبي بكر الصديق إلى خلافة المأمون[٣٠].

وأبو نصر الفارابي في «السياسة المدنية» يتناول «المبادىء التي بها قوام الأجسام والأغراض»، ثم يتحدث عن الانسان وضرورة الاجتماع وتنوع الأمم وغاية الإنسان ثم أنواع الرئاسات والمدن[٣١].

وسندع عرض مفاهيم السياسة عند هؤلاء المفكرين إلى دراسة أخرى مكتفين في هذه الدراسة بعرض مفهوم السياسة عند العرب قبل الإسلام وفي القرآن الكريم والعهد النبوي، آملين أن نتابع عرض تطور هذا المفهوم في دراسات لاحقة.

ونكرر القول أن متابعتنا ستكون مما يشتم منه ما يتعلق بأمور الجماعة وتنظيمها دون تقيد بتعبير «سياسة» كما سنتتبع ما يوحي بهذا الشأن كتعبيري «الأمر» و «الملك» و «الحكم» قبل الإسلام، مع إضافة تعبيري «الخلافة» و «الإمامة» بعده.

---

(٢٨) ابن منظور لسان العرب، دار صادر ـ بيروت ١٩٥٦، باب السين فصل السين.

(٢٩) الزبيدي، تاج العروس، تحقيق محمود محمد الطناحي، مطبعة حكومة الكويت ١٩٧٦، باب السين فصل السين.

(٣٠) ابن قتيبة، الامامة والسياسة، م.س.

(٣١) أبو نصر الفارابي، السياسة المدنية، م.س.

٢ . مفهوم السياسة والحكم قبل الإسلام:

يبدو من استعراض ما وصلنا عن العرب قبل الإسلام عدم وجود كتابات تتناول السياسة في المنطقة بشكل مباشر واقتصر ما وصلنا على:

ـ شعر نُسِب للجاهلية، إلاّ أنه لم يدوّن إلاّ في القرن الثاني للهجرة النبوية.

ـ نقوش بلغات سابقة للعربية إنْ في الجزيرة العربية أو في بلاد الرافدين وبلاد الشام وبلاد النيل والتي لم تفك رموزها إلاّ في عصر متأخر (القرن التاسع عشر ميلادي وما تلاه).

ـ وصف للمنطقة وأخبار عنها رواها المؤرخون اليونانيون والرومانيون.

ـ إلاّ أن عدم وصول كتابات كافية عن تلك المرحلة نستطيع منها استشفاف مفهوم متكامل للسياسة لا يعني عدم وجودها إذ ما زالت الحفريات الأثرية، على قلتها، تكشف الجديد تلو الجديد. كما لا يعني ذلك عدم وجود مجتمعات سياسية ودول في تلك المرحلة، إذ تشير المصادر التي ذكرنا إلى قيام دول وحضارات في المنطقة التي تعرف اليوم ببلاد العرب إلى الدرجة التي اعتبر معها المؤرخ فيليب حتي أن هذه المنطقة هي مهد الحضارة بإجماع علماء التاريخ[٣٢].

ويمكن لحظ الآتي في هذا المجال:

ـ قيام دولة مركزية في وادي النيل منذ ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد وحكمتها أسر ملكية عديدة. وشهدت مراحل ازدهار وتوسع فامتدت حدودها إلى بلاد الشام والرافدين وبلاد المغرب العربي كما شهدت مراحل ضعف وانكفاء فسيطرت عليها قوى خارجية[٣٣].

---

(٣٢) فيليب حتي، خمسة آلاف سنة من تاريخ الشرق الأدنى، الجزء الأول، الدار المتحدة ـ بيروت ط ١، ١٩٧٥، ص ٣.

(٣٣) يراجع كتاب د. نجيب مخائيل ابراهيم، مصر والشرق الأدنى القديم، دار المعارف بمصر الذي يعدد أربعة عشر مرحلة لهذه الحقبة، ويصف في ثلاثة أجزاء من كتابه هذه المراحل.
كما يراجع كتاب فيليب حتي الآنف الذكر.

ـ قيام دول مركزية في بلاد ما بين النهرين في نفس الفترة وتعاقب الأسر عليها التي جاءت كل واحدة لتقضي على الدولة التي سبقتها وتقيم دولتها فكانت الامبراطورية الأكدية ثم البابلية فالأشورية فالبابلية الجديدة إلى أن خضعت المنطقة لسيطرة الفرس ثم المقدونيين والرومان ثم الفرس مجدداً[٣٤].

ـ قيام مدن ـ دول في بلاد الشام في تلك الفترة أيضاً كالدويلات الكنعانية ومملكة اسرائيل التي تعرضت كما تعرضت دول مصر وبلاد الرافدين للغزو الفارسي ثم المقدوني والروماني[٣٥].

ـ قيام دول صغيرة في اليمن وأطراف الجزيرة العربية الجنوبية كالدولة المعينية (١٣٠٠ ق.م ـ ٦٥٠ ق.م) بين نجران وحضرموت والدولة السبئية (٨٠٠ ق.م ـ ١١٥ ق.م) في سبأ، والدولة الحميرية (١١٥ ق.م. ـ ٥٢٥ م) في سبأ وذي ريدان وحضرموت ويمنت. والتي خضعت بعد ذلك لسيطرة الأحباش ثم الفرس[٣٦].

ـ قيام دول صغيرة على أطراف الجزيرة العربية الشمالية كدولة الأنباط (٤٠٠ ق.م ـ الميلاد) بين غزة والعقبة وبصرى ودمشق وتدمر (الميلاد ـ ٢٧١ م) في بلاد الشام الداخلية، والغساسنة (٥٢٩ ـ ٦٥٩ م) والمناذرة (٢٨٨ ؟ ـ ٦٠٥ م) في الحيرة، وكندة (٤٦٠ ـ ٥٢٥ م) في نجد واليمامة وهي إمارات مستقلة جزئياً نشأت في ظلال التنافس الفارسي ـ البيزنطي على المنطقة[٣٧].

ـ سيطرة الدولة الفارسية أيام الأخمينين على بلاد الرافدين وبلاد الشام وبلاد النيل (٥٢٥ ـ ٣٣٢ ق.م) ثم اعادة السيطرة أيام الساسانيين، بعد ضعف الدول البيزنطية، على اليمن وبلاد الرافدين (٥٢٥ م) حتى الفتح العربي[٣٨].

---

(٣٤) راجع كتاب نجيب مخائيل ابراهيم الآنف الذكر وبالأخص الجزءين: الخامس والسادس.

(٣٥) يراجع نفس المصدر، وبالأخص الجزء الخامس.

(٣٦) يراجع د. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٥٩. ود. عبد العزيز سالم، تاريخ العرب في العصر الجاهلي، دار النهضة ـ بيروت ط ١، ١٩٧٠.

(٣٧) يراجع نفس المصدرين السابقين.

(٣٨) يراجع كتاب نجيب مخائيل ابراهيم الآنف الذكر.

ـ سيطرة المقدونيين أيام الاسكندر على بلاد الشام وبلاد الرافدين وبلاد النيل (٣٣٢ ق.م ـ ٣٠ ق.م) وكانت مصر بعد موت الاسكندر مع خلفائه البطالسة وبلاد الشام والعراق مع خلفائه السلوقيين[٣٩].

ـ سيطرة الرومان على كامل المنطقة منذ ٣٠ ق.م حتى الفتح العربي وانحسارهم عن بلاد الرافدين قبيل ذلك (مع انقسام الامبراطورية الرومانية وعودة الفرس إلى النهوض)[٤٠].

ويدل وجود هذه الدول والامبراطوريات على وجود مجتمعات سياسية وممارسات سياسة وبالتالي مفاهيم سياسية محددة وإن لم تصلنا بشكل مصاغ ومتكامل إنْ بسبب عدم استمرار أي من اللغات المحكية في تلك المرحلة، خلافاً لمرحلة ما بعد الإسلام، أو بسبب عدم الاهتمام الكافي بالتنقيب عن الآثار وفك رموز كتاباتها القديمة.

ويظهر مما وصلنا عن هذه الدول ـ وهو قليل نسبياً ـ دلالات سياسية عديدة:

١ ـ غلبة النظام الملكي ـ حسب مفاهيمنا الراهنة ـ لدى هذه الدول والذي يبدأ باستيلاء رئيس عشيرة أو أسرة أو جماعة على الحكم بالقوة ثم يورثه لأبنائه إلى أن يأتي رئيس آخر لجماعة أخرى (من الداخل أو الخارج) فتقضي عليه لتقيم سلالة أخرى على رأس الحكم وغالباً ما يربط الحاكم حكمه بصفات إلهية كما في مصر[٤١] وفي بلاد الرافدين[٤٢].

٢ ـ وجود مساعدين للملك كوزراء وكولاة على المناطق ينفذون أوامره. وكان الولاة، في بعض المراحل، يتمتعون بنوع من الحكم الذاتي كما هو الحال أيام الامبراطورية المصرية (١٥٨٠ ـ ١٠٩٠ ق.م)[٤٣].

---

(٣٩) ن.م.
(٤٠) ن.م.
(٤١) ن.م، الجزء الرابع، ص ٧٤.
(٤٢) ن.م، الجزء السادس، ص ٢٩.
(٤٣) ن.م، الجزء الأول، الكتاب الثاني، ص ٨٨.

٣ ـ وجود نوع من الحرية ظهر في حالات الدول الصغرى في المدن الفينيقية وفي دويلات ما قبل الحالة الامبراطورية في العراق ومصر وفي بعض الدويلات في الجزيرة العربية.

ففي أسطورة «أجا وجلجامش» العراقية، يذكر مشاورة جلجامش لمجلس الشيوخ عندما طلب منه اجا ملك كيش خضوع مدينته «الوركاء» له فرفض مجلس الشيوخ رغبة جلجامش بالحرب، فأعاد جلجامش بعد ذلك مشاورة مجلس الرجال القادرين على حمل السلاح الذي انسجم مع رغبته بالحرب فحارب وهُزِم[٤٤]. ويظهر من سلطة أمراء المدن الفينيقية أنها لم تكن مطلقة[٤٥]، ويورد أرسطو في كتابه «السياسة» دستور قرطاجة[٤٦]، ويعتبره أحسن وأوفى من غيره ومن أحسن ثلاثة دساتير اعتمدها. ويستشف من مناقشته لدستورها وجود ملك ومجلس للشيوخ وعدم حصر الملكية بعائلة واحدة واعتماد الانتخاب[٤٧]. ويظهر لدى الممالك العربية في جنوب الجزيرة «المزود» الذي يحيط بالملك ويشير عليه ويبحث القرارات التي يعرضها الملك فإذا ما قرر المزود شيئاً عرض قراره على المجالس القبلية ومجالس المدن للنظر فيها ولبيان رأيه، فإذا أقرت المجالس تلك القرارات صار من واجب سيد القبيلة تنفيذها على أتباعه وإذا ما عارضت المجالس تلك القرارات تعاد إلى المزود للنظر فيها. ويكوّن المزود من رجال الدين ورؤساء القبائل والموظفين[٤٨]. كما يظهر في مكة دار الندوة التي كانت تحكم المدينة وأعضاؤها هم رؤساء مكة وأصحاب المال والنفوذ فيها[٤٩].

٤ ـ وجود نوع من القوانين تحكم علاقات الناس بعضها بالبعض الآخر،

---

(٤٤) ن.م، الجزء السادس، ص ٢٦٦.

(٤٥) ن.م، الجزء الثالث، ص ٤٦.

(٤٦) مدينة أسسها الفينيقيون في شمال أفريقيا (تونس حالياً) في القرن التاسع قبل الميلاد ولعبت دوراً هاماً في محاربة روما فانتصرت عليها أحياناً إلاّ أنها هُزِمت أمامها في الأخير ودمرت على أيدي الرومان في القرن الثاني قبل الميلاد.

(٤٧) أرسطو «السياسة»، ص ١٧٩ ـ ١٨٢.

(٤٨) جواد علي، تاريخ العرب قبل الاسلام، الجزء الثاني، م.س ص ٢٦.

(٤٩) ن.م، ص ٣٠ ـ ٣١.

ويتركز ما وصلنا منها على ما يسمى ـ راهناً ـ بالقانون المدني وقانون الأحوال الشخصية والقانون الجزائي أي أنها لا تتناول ما يسمى بالقانون الدستوري. وتظهر في «كتاب الموتى» عند المصريين القدامى نصوص تنظم هذه العلاقة[٥٠] كما تبرز بجلاء أكثر لدى الشرائع البابلية كشريعة أورغو مؤسس أسرة أور الثالثة (٢٠٥٠ ق.م) ثم شريعة اشتونا وشريعة لبث عشتار، ثم شريعة حمورابي. وهذه الشرائع تنظم العلاقات المدنية والشخصية بتفصيل دقيق محددة العقوبات الواجبة عند الاخلال بأي منها[٥١]. ثم الشرائع الأشورية[٥٢]. كما يمكن الاشارة إلى ظاهرة الأشهر الحرم في الجزيرة العربية والتي يمكن إدراجها، بمصطلحاتنا السياسية الحاضرة، ضمن اطار العلاقات الدولية.

٥ ـ وجود حالة من الاسترخاء السياسي بين الدعوة المسيحية والدعوة الإسلامية وبالأخص في القرنين اللذين سبقا انبلاج الدعوة الاسلامية إذ انتهت الامبراطوريات الكبرى الناشئة في هذه المنطقة (المصرية والآشورية) وسقطت تحت سيطرة امبراطوريات من خارجها (مقدونية ورومانية وفارسية) وكان ما بقي من دويلات صغيرة على أطراف الجزيرة العربية وفي بلاد الشام محميات للامبراطوريات الكبرى المتنافسة.

إلّا أن هذه الدلالات السياسية لا تكفي لبلورة مفهوم السياسة عند العرب قبل الإسلام للنقص في المعلومات أولاً وللتخمين الذي اعتمده ويعتمده المؤرخون لتلك الفترة، ثانياً، ولأن الجزيرة العربية التي سينطلق منها، مع الدعوة الإسلامية، مشروع سياسي كبير لم يعرف عنها وجود دول في داخلها، ثالثاً.

لهذا سنحاول إكمال هذه الدلالات الأولية بتتبع ما يستشف منه سياسة في الشعر الجاهلي، متجاوزين الدعوات التي تدعي عدم صحة هذا الشعر باعتبار

---

(٥٠) نجيب مخائيل ابراهيم، مصر والشرق الأدنى القديم، م.س، الجزء الأول، الكتاب الثاني، ص ١١٣.

(٥١) ن.م، ص ٤٤ وما يليها إذ يورد النصوص الكاملة لما وصلنا من هذه الشرائع.

(٥٢) ن.م، ص ٨٢ وما يليها.

أن التقليد لا يكون إلّا لأصل وإن المقلد أو المنتحل يجهد نفسه ليحاكي الأصل، فسواء أكان ما وصلنا من هذا الشعر قد قاله أناس عاشوا قبل الإسلام أم أناس عاشوا بعده فهو، في الحالين يصف حالة ما قبل الاسلام.

ونلحظ في الشعر الجاهلي تطرقاً للأمر السياسي إن في أبيات من قصيدة أو في القصيدة كلها ويتناول السياسي منها اطار الجماعة وطبيعة السلطة وطرق اختيار القيادة وسمات القيادة الصالحة.

لا بل نرى أهم موضوعات الشعر الجاهلي: الفخر يدور حول جوانب سياسية في حياة القبائل العربية فهو تمجيد للانتصار أو تبرير للهزيمة وفي كلا الحالين يعالج مسألة سياسية من الشجاعة في الحرب أو الكرم في الأخلاق أو الأصالة في النسب.

ونلحظ ـ أيضاً ـ ارتباط الشعراء بالسياسة إنْ في وجود نسبة كبيرة من الشعراء ذوي الامارة في قومهم كامرىء القيس والسموأل وعمرو بن كلثوم وعوف بن الأحوص وزيان بن سيار المزني وغيرهم أو في المكانة الاجتماعية التي أعطيت لمن ملك ناصية الشعر فهو الناطق باسم جماعته والمفاوض باسمها ورافع مجدها وفي هذا قال ابن رشيف: «وكانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها وصنعت الأطعمة واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعون في الأعراس ويتباشر الرجال والولدان لأنه حماية لأعراضهم وذبّ عن احسابهم وتخليد لمآثرهم واشادة بذكرهم وكانوا لا يهنئون إلّا بغلام يولد أو شاعر ينبغ أو فرس تنتج»[٥٣].

ففي اطار الجماعة السياسية نلحظ أن إطار القبيلة هو الغالب وما الفخر بالقبيلة والهجاء للقبائل الأخرى والذي هو كثير في الشعر الجاهلي إلّا تحديد لإطار الوحدة الاجتماعية التي ينتمي اليها الفرد ومسرح للعمليات السياسية فيها، بحيث يصح القول، مجازاً، أن هذه القبائل دول صغرى وإن «أيام

(٥٣) أوردها أحمد الشايب في تاريخ الشعر السياسي، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٥. ص ٢٩.

العرب» هي حروب هذه الدول فيما بينها وإن أشهر الحرم المتفق عليها بينهم هي تنظيم للعلاقات الدولية بينهم.

ويتجاوز هذا الإطار القبلي بعض الشعراء الذين خاطبوا ما هو أبعد من القبيلة إلى الناس كافة أو إلى مجموعة قبائل.

فالحارث بن حلزة من بني بكر يقول في معلقته:

فملكنا بذلك الناس حتى ... مَلَك المنذر بن ماء السماء
وهو الرب والشهيد على يو ... م الحيارين والبلاء بلاء
مَلِك اضرع البرية لا يو ... جد فيها، لما لديه، كفاء[٥٤]

وامرؤ القيس يقول:

أبعد الحارث المَلِك بن عمرو ... له مُلْك العراق إلى عُمان
مجاورة بني شمجى بن جرم ... هواناً ما أُتيح من الهوان[٥٥]

ونلحظ تحديد طبيعة الحكم بالملك أو بالأمر كما ذكرنا في أبيات الحارث ابن حلزة «مَلَك ومَلِك» وأبيات امرؤ القيس «مُلْك» وغيرها الكثير مثل:

قول امرىء القيس أثناء مخاطبته لرفيق رحلته إلى بلاد الروم:

فقلت له: لا تبك عينك انما ... نُحاول ملكا أو نموت فنعذرا[٥٦]

وقول عمرو بن كلثوم أثناء مناظرته عمرو بن هند:

أبا هند فلا تعجل علينا ... وأنظِرْنا نخبرك اليقينا
بأنّا نورد الرايات بيضاً ... ونصدرهنّ حمراً قد روينا
وأيام لنا غرّ طوال ... عصينا الملك فيها أن ندينا

(٥٤) موسوعة الشعر العربي (١)، مطاع الصفدي وايليا حاوي، شركة خياط، بيروت، ص ٣٥٥.
(٥٥) ديوان امرؤ القيس دار بيروت ـ دار صادر، بيروت، ١٩٥٨، ص ١٧٦.
(٥٦) ديوان امرؤ القيس، م.س، ص ٩٥.

إذا مـا الملك سام النـاس الخسف أبينـا أن نقـر الـذل فينـا[٥٧]

وقول الأفوه الأودي:

إمارة الغي أنْ تلقى الجميع لدى الابـرام للأمـر والأذنـاب أقتـاد
اذا تـولى سراة الـنـاس أمـرهـم نما على ذاك أمر القوم فازدادوا[٥٨]

وقول دريد بن الصمة:

أمـرتهـم امـري بمنعـرج اللوى فلم يستبينوا الرشد الأضحى الغد[٥٩]

وقول لقيط بن يعمر الايادي:

وقـلدوا أمـركـم، لـله دركـم رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا[٦٠]

أما شروط المجتمع السياسي الذي تطلبه الجاهلي فتلحظه لدى أكثر من شاعر:

فالأفوه الأودي أورد في قصيدة له شروط قيام الجماعة فقال:

أمارة الغي أن تلقى الجميع لدى الابـرام للأمـر والاذنـاب أقتـاد
والبيت لا يبتنى إلّا لـه عمـد ولا عـماد اذا لم تـرس اوتـاد
فـإن تجـمـع أوتـاد وأعـمـدة وساكن بلغوا الأمـر الذي كـادوا
لا يصلح النـاس فوضى لا سراة لهم ولا سراة اذا جـهـالهـم سـادوا
تهدى الأمور بأهل الرأي ما صلحت فـإن تـولت فبـالأشرار تـنـقـاد
إذا تـولى سراة الـنـاس أمـرهـم نما على ذاك أمر القوم فازدادوا[٦١]

وقال لقيط بن يعمر الايادي:

---

(٥٧) موسوعة الشعر العربي، الجزء الأول، م.س، ص ٤٢٣ - ٤٣٣.
(٥٨) ن.م، ص ٣٨٠ - ٣٨١.
(٥٩) ن.م، الجزء الأول، ص ٥٨٠.
(٦٠) ن.م، ص ٢٩٥.
(٦١) ن.م، ص ٣٩.

يـا لهف نفسي إن كـانت أمـوركم شتى وأبـرم أمـر النـاس فـاجتمعـا
يـا قـوم لا تـأمنـوا إن كنتم غيـراً عـلى نسـائكم كسرى ومـا جمعـا[٦٢]

وقال أوس بن حجر:

أقيم بـدار الحـزم مـا دام حـزمهـا وأحـذر إن حـالت، بـأن أتحـولا
وأستبـدل الأمـر القـوي بغـيره إذا عقـد مـأفـون الـرجـال تحللا[٦٣]

وقال السموأل:

ومـا مـات منـا سيـد حتف أنفـه ولا طـل يـوماً، حيث كـان، قتيـل
إذا سيـد منـا خـلا قـام سيـد قؤول لمـا قـال الكـرام فعـول[٦٤]

وهجا أوس بن غلفاء الهجيمي يـزيـد ابن الصعق الكـلابي فقـال واصفـاً جماعته:

وجـدنـا مـن يقـود يـزيـد منهم ضعـاف الأمـر غـير ذوي نـظام[٦٥]

ودعا المسيب بن علس قبيلته للهرب من الضيم فقال:

أبـلغ ضـبـيـعـة أن الـبـلا د فـيـهـا لـذي حسـب مـهـربُ
فـقـد يجلس القـوم في أصلهـم إذا لم يـضـامـوا وإن أجـدبـوا
وهـل يجلس القـوم لا ينـكـرون وكـلهـم أنـفـه يضرب[٦٦]

وعارض الحادرة رأي المسيب هذا معطياً رأياً باجتماع العشيرة فقال:

نـقـيـم في دار الحـفـاظ بـيـوتـنـا زمنـا ويـطعن غـيرنـا لـلامـدع
ومحـل مجـد لا يسرح أهـله يـوم الاقـامـة والحـلول لمـرتـع

---

(٦٢) ن.م، ص ٢٩٤.
(٦٣) ن.م، الجزء الثاني، م.س، ص ٦٥١، ومأفون: ضعاف.
(٦٤) ن.م، الجزء الأول ص ٣١٦ - ٣١٧.
(٦٥) ن.م، الجزء الثالث، ص ٥٠٩.
(٦٦) ن.م، الجزء الثالث، ص ٢٢٥ - ٢٢٦.

بسبيل ثغر لا يسرح أهله سقم يشار لقاؤه بالإصبع[٦٧]

وأضاف في قصيدة أخرى:

فلا فحش في دارنا وصديقنا ولا ورع النهبى إذا ابتدر المجد
وإنا سواء كهلنا وولیدنا لنا خُلُقٌ جزل شمائله جلد
وإنّا ليفشى الطامعون بيوتنا اذا كان عوضا عند ذي الحسب الرفد[٦٨]

وقال خراشة بن عمرو العبسي:

فلا قوم إلاّ نحن خير سياسة وخير بقيات بقين وأولا
وأطول في دار الحفاظ إقامةً وأربط أحلاماً إذا البقل اجهلا
وأكثر منا سيدا وابن سيد وأجدر منا أن يقول فيفعلا
قروم نمتنا في فروع قديمة بحيث امتناع المجد أن يتنقلا
حماة غداة الروع يأمن سربنا إذا دهم الورد الضعيف المدلا
مصاليت ضرابون في حومة الوغى إذا الصارخ المكروب عم وخللا[٦٩]

وقالت صفية بنت ثعلبة الشيبانية أثناء الخلاف بين عشيرتها والفرس رداًعلى رسول نصحها بالحذر من بطش كسرى:

جاء الرسول بنصحه ولأنه محفوظة أسراره وتصان
لكن دون السلم سمر ذبل لمعاشري من معشر فنيان
وصوارم مشحوذة وسوابغ وأيد جياد كلهن حصان
شبيان قومي والأعارب دعوتي وعزيزة فيهم فلست أُهان
قل للطميح ـ قدته فتيان الوغى ـ عندي لكسرى القلب والأبدان
بالله افزع من كثيف جنوده وأنا تجيب لدعوتي العربان

---

(٦٧) ن.م، الجزء الرابع، ص ١٧.
ودار الحفاظ: دار الكرامة.

(٦٨) ن.م، ص ٢١. والعوص: الشدة والرفد: العون.

(٦٩) ن.م، ص ١٥٧ ـ ١٥٨.
وقروم: فحل ويكنى هنا بالسيد، مصاليت من صلت: السيف، وبمعنى حملة السيوف.

فـليـأت كسرى والأيـافـث بـعـده والـتـرك روا والحـبـشـان[٧٠]

وقال عمرو بن براقة الهمداني:

وكـنت إذا قـوم غـزوني غـزوتهم فهـل أنـا في ذا يـالهمـدان ظـالم
فـلا صلح حتى تقدع الخيـل بـالقنـا وتضرب بـالبيض الخفـاف الجـماجم
ولا أمن حتى تغشم الحـرب جهـرة عبيـدة يـومـاً والحـروب غـواشم
أمستبـطىء عمـرو بن نعـمان غـارتي ومـا يشبـه اليقـظان من هـو حـالم
إذا جـر مـولانـا علينـا جـريـرة صـبرنـا لهـا إنـا كـرام دعـائم
ونـنصر مـولانـا ونـعـلم أنـه كـما النـاس مجـروم عليـه وجـارم[٧١]

وقال عبيد بن عبد العزى السلامي:

فاسلم عناك الأهـل تسلم صدورهم ولا بـد يـومـاً أن يـروعـك رائـع
ولا تبتـدع حـربـا تـطيق اجتنـابهـا فيلحمـك الناس الحـروب البـدائـع
لعمـري لنعم الحي ان كنت مـادحـاً هم الأزدان القـول بالصـدق شـايـع
كـرام مسـاعيهم جسـام سـماعهم إذا الغت النـاس الأمـور الشرايـع
لنـا الغـرة العليـاء في المجـد والعـلى ظفـرنـا بهـا والنـاس بعـد تـوابـع[٧٢]

فشروط الاجتماع السياسي أن تنظم الجماعة وأن تتوفر لها قيادة غير جاهلة ومن أهـل الـرأي، حسب رأي الافـوه الأودي، وأن تكـون قيـادتهـا مستمـرة ـ حسب رأي السموأل ـ وأن يسود الحزم علاقاتها ـ حسب رأي أوس بن حجـر ـ وأن لا تطيق الضيم ولو أدى ذلك إلى الرحيـل ـ حسب رأي المسيب بن علس ـ وأن تكون قوية تستطيع الدفاع عن نفسها تصبر على أخـطاء قيادتهـا وتدعمهـا ـ

---

(٧٠) ن.م، ص ٥٠٣.

(٧١) يحيى الجبوري، قصائد جاهليـة نادرة، مؤسسـة الرسـالة ـ بـيروت ط ١، ١٩٨٢، ص ١٠١ وهذه القصائد مأخوذة عن مخطوط بعنوان «منتهى الطلب من اشعار العرب» لـلامام محمـد بن المبارك بن ميمون البغدادي.
تقدع: تضرب، تغشم: تظلم، جريرة: جناية.

(٧٢) ن.م، ص ١٢٣ ـ ١٢٤.

حسب رأي عمرو بن براقة. وأن لا تقدم على الحرب إلا مكرهة، وأن تتشبث بدار العز وتكون مهابة ويسود علاقات أفرادها المساواة والأخلاق حسب رأي الحادرة ـ وأن تحمي سلمها بمنعة داخلية وقدرة على القتال وتحالف مع الأقربين لها ـ حسب رأي صفية.

أما طريقة اختيار الحاكم/ الملك/ الرئيس فنلحظ غلبة الطريقة التشاورية، أو بالأحرى الآنفة من طريقة الوراثة، باستثناء امرىء القيس الذي حاول الاعتماد على قوة خارجية لاسترجاع ملكه:

وإني زعيم إن رجعت مملكا بسير ترى منه القرانف ازورا[٧٣]

فهذا عامر بن الطفيل أنف من الامارة بالوراثة، رغم كرم محتده، فقال:

فاني وإن كنت ابن فارس عامر وفي السر منها والصريح المهذب
فما سودتني عامر عن وراثة أبى الله أن اسمو بأم ولا أب
ولكنني أحمي حماها وأتقي أذاها وأرمي من رماها بمقنب[٧٤]

ويستشف من طلب لقيط بن يعمر الايادي من قومه اعطاء الإمارة للشجاع:

وقلدوا أمركم لله دركم رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا

أن الرئاسة في القبيلة تعطى من أبنائها. كما يستشف من قول دريد بن الصمة أمرتهم أمري أن الرئاسة يعطيها الأفراد ولا تورث.

ويستشف من ربط هذه الأقوال بقائليها وظروفهم أن الطريقة التشاروية في اختيار الحاكم/ الأمير/ الرئيس هي السائدة بين القبائل بينما طريقة الوراثة هي السائدة بين الاطارات الأوسع من قبيلة كحالة امرىء القيس وعمرو بن هند.

أما صفات القيادة في الجماعة فنلحظها في الكثير من الشعر الجاهلي،

---

(٧٣) ديوان امرؤ القيس، م.س، ص ٩٥، والقرانف: الأسد.
(٧٤) موسوعة الشعر العربي (١)، م.س، ص ٥٧١.

وبالأخص الرثاء والمديح والفخر. وهي وإن لم تكن موجودة في الميت أو الممدوح أو المفتخر بنفسه، فإنها تشير إلى شروط القيادة المقترحة والمرغوبة لدى الجماعة.

فالشاعر المهلهل رثى أخاه كليب فقال:

الحزم والعزم كانا من طبائعه ... ما كُل آلائه، يا قوم، أحصيها
الناحر الكوم ما ينفك يطعمها ... والواهب المائة الحمرا يراعيها
القائد الخيل تَرْدِي في أعنتها ... رهواً، اذا الخيل بحت في تعاديها[٧٥]

وقال حسان بن ثابت مادحاً عمرو بن الحارث الغساني:

ولقد تقلدنا العشيرة أمرها ... ونسود يوم النائبات ونعتلي
ويسود سيدنا جحاجح سادة ... ويصيب قائلنا سواء المفصل
ونحاول الأمر المهم خطابه ... فيهم ونفصل كل أمر مفصل
وتزور أبواب الملوك ركابنا ... ومتى نحكم في البرية نعدل[٧٦]

ووضع حاتم الطائي شروطاً للقيادة إذ قال:

ألم تعلمي أني، إذا الضيق نابني ... وعز العزى أقري السديق المسرهدا
أسَوِّد سادات العشيرة عارفا ... من دون قومي في الشدائد مزودا
وأُلغي، لأعراض العشيرة، حافظا ... وحقهم حتى أكون المسودا
يقولون لي: أهلكت مالك فاقتصد ... وما كنت، لولا ما تقولون، سيدا
سأذخر من مالي دلاصاً وسابحاً ... وأسمر خطياً وعضباً مهندا[٧٧]

ووصف لقيط بن يعمر الايادي القائد الذي يجب أن يولى أمر قبيلته في

---

(٧٥) موسوعة الشعر العربي (١)، م.س، ص ١٩٢.
(٧٦) أحمد الشايب، تاريخ الشعر السياسي، م.س، ص ٣٣.
وجحاجح: سادة سارعين إلى المكارم.
(٧٧) موسوعة الشعر، الجزء الأول، م.س، ص٥١٢ - ٥١٣.
ودلاص: الدرع، والسابح: الفرس، وأسمر خطياً: الرمح، والعضب: السيف.

معركتها ضد الفرس[٧٨].

يـا لهف نفسي إن كـانت أمـوركم ... شتى وأُبـرم أمـر النـاس فـاجتمعـا
أحـرار فـارس أبنـاء الملوك لهـم ... من الجمـوع جموع تـزدهي القلعـا
فـهـم سراع اليـكـم بـين ملتـقط ... شوكا وآخر يجني الصاب والسلعـا[٧٩]
يـا قـوم لا تـأمنـوا إن كنتم غـيرا ... عـلى نسـائكـم كسرى ومـا جمعـا
قـومـوا قيـامـا عـلى أمشـاط أرجلكم ... ثم افـزعوا قـد ينال الأمن من فـزعـا
وقـلدوا أمـركـم، لـله دركـم ... رحب الذراع بأمـر الحرب مضـطلعا
لا مـترفـاً إن رخـاء العيش سـاعـده ... ولا إذا هـم مكـروه بـه خـشـعـا
مـا زال يحلب در الـدهـر أشـطره ... يكـون متبعـاً طـوراً ومـتبعـا[٨٠]
لا يـطعـم النـوم إلّا ريـث يبعثـه ... همّ يكـاد حشـاه يقـطع الضلعـا
مُسهَّـد النـوم تعنيـه أمـوركـم ... يـروم منهـا إلى الاعـداء مـطلعـا
فـليس يشـغـله مـال يـثـمـره ... عنكم ولا ولـد يبقى لـه الـرفعـا
حتى استمـرت عـلى شـزر مـريـرنـه ... مستحكم السن لا قحماً ولا ضرعا[٨١]
كـمالـك بن قنـان أو كـصـاحبـه ... زيد الغنا حين لاقى الحارثين معا[٨٢]

وقال عوف بن الأحوص:

ملوك، عـلى أن التحيـة، سـوقـة ... ألايـاهم يـوفى بهـا ونـذورهـا[٨٣]

وقال مالك بن حريم الهمداني:

---

(٧٨) الشاعر من بني اياد ومن أهل الحيرة اتصل بكسرى سابور ذي الأكتاف فكان من كتابه إلّا أنـه بعث إلى قومه يخبرهم بتوجيه كسرى جيشا لغـزوهم فوقـع الكتاب في يـد كسرى فقبض عليه وقطع لسانه. والأبيات الواردة أعلاه من هذا الكتاب.

(٧٩) الصاب والسلع: شجر.

(٨٠) ليكن هـذا القائـد مجربـاً، يقبل النصيحـة فيستشيركم ويقبـل نصيحتكم كما تقبلون نصـائحه وتتبعونها.

(٨١) القحم: الشيخ المسن، الضرع ـ الجبان الضعيف.

(٨٢) موسوعة الشعر العربي، الجزء (١)، م.س، ص ٢٩٤ ـ ٢٩٥.

(٨٣) ن.م، ص ٦٠.

وكم من رئيس يستضاء بنوره سناء وحلما فيه فاجتمعا معا
وسارع أقوام لمجد فقصروا وقاربها زيد بن قيس فأسرعا[٨٤]

ووصف زهير بن أبي سلمى القائد فقال:

يقسم، ثم يسوّى القسم بينهم معتدل الحكم، لا هار ولا هشم[٨٥]
فضّله فوق أقوام ومجّده ما لم ينالوا وإن جادوا وإن كرموا
قود الجياد واصهار الملوك وصبر في مواطن لو كانوا بها سئموا
ينزع امّة أقوام ذوي حسب مما ييسر أحياناً له الطُّعم[٨٦]
ومن ضريبته التقوى ويعصمه من سيء العثرات، الله والرحم
مورث المجد لا يغتال همته عن الرياسة لا عجز ولا سأم
كالهندواني لا يخزيك مشهده وسط السيوف إذا ما تضرب البُهم[٨٧]

وفخر كليب من وائل بن ربيعة بقتل لبيد فقال:

إن يكن قتلنا الملوك خطاءً أو صواباً فقد قتلنا لبيدا
وجعلنا مع الملوك ملوكا يحيا ذو جرو تُغل الحديدا
نسعر الحرب بالذي يحلف النا س به قومكم ونذكي الوقودا[٨٨]

ومدح الممزق العبدي عمرو بن هند بن المنذر الأكبر بن امرىء القيس فعدد صفات القيادة:

علوتم ملوك الناس في المجد والتُّقى وغَرب ندى من عروة العزّ يستقي
وأنت عمود الدين مهما تقل يقل ومهما تصنع من باطل لا يلحق

---

(٨٤) ن.م، ص ٢١٨.
(٨٥) الهاري: الضعيف، والهشم: السريع الانكسار.
(٨٦) أمه: النعمة والشأن، والطعم: الغنائم.
(٨٧) موسوعة الشعر العربي، العصر الجاهلي، الجزء الثاني، م.س. ص ٣٦٨ - ٣٧٠.
(٨٨) ن.م، الجزء الثالث، ص ٥٥.

وإن يجبوا تشجع وإن يبخلوا تجد وإن يخرقوا بالأمر تفصل وتفرق[٨٩]

وأخذ أوس بن حجر على قبيلته تكريمهم لذي المال وتفضيله على كريم المحتد فقال:

بني أم ذي المال الكثير يرونه وإن كان عبدا سيد الأمر جحفلا
وهم، لمقل المال، أولاد علة وإن كان محضاً في العمومة مخولا
وليس أخوك، الدائم العهد، بالذي يذمك إن ولى ويرضيك مقبلا
ولكن أخوك النائي ما دمت آمنا وصاحبك الأدنى إذا الأمد أعضلا[٩٠]

وقال معاوية بن مالك واصفاً جماعته:

إني امرؤ من عصبة مشهورة حشد، لهم مجد أشم تليد
الفوا أباهم سيدا وأعانهم كرم وأعمام لهم وجدود
نعطي العشيرة حقها وحقيقها فيها ونغفر ذنبها ونسود
وإذا تحملنا العشيرة ثقلها قمنا به وإذا تعود نعود
وإذا نوافق جرأة أو نجدة كنا، سُمّي، بها العدو نكيد[٩١]

ورثت دختنوس أباها لقيطا معددة صفاته التي هي صفات القائد المرغوب فقالت:

بكر النعي بخير خِنْدِ ف كهلها وشبابها
وبخيرها نسبا إذا رجعت إلى أنسابها
وأضرِّها لعدوها وأفكها لرقابها
وقريعها ونجيبها في المطبقات ونابها
ورئيسها عند الملو ك وزين يوم خطابها
فرع عمود للعشـ يرة رافع لنصابها

(٨٩) ن.م، الجزء الثالث، ص ٤٩ ـ ٥٠، والغرب الدول العظيمة وغرب ندى كتابه عن الكرم، والدين: المال والسلطان.
(٩٠) موسوعة الشعر العربي، الجزء الثالث، م.س، ص ٦٥٥.
(٩١) ن.م، الجزء الثالث، ص ٤٣٧ ـ ٤٣٨.

فيعولها ويحوطها ويذب عن أحسابها[٩٢]

ووصف عبيد بن عبد العزى السلامي قيادة قبيلته فقال:

لنا سادة لا ينقض الناس قولهم ورجراجة ذيالة في السنور
فمن للمعالي بعد عثمان والندى وفصل الخطاب والجواب الميسر
وحمل الملمات العظام ونقضها وامرارها والرأي فيها المُصَدَّر
ملوك وأرباب وفرسان غارة يحوزونها بالطعن في كل محجر[٩٣]

وهكذا تتبلور صفات القيادة بالحزم والعزم والكرم وقيادة المعارك ـ حسب رأي المهلهل ـ وقيادة القوم في أيام الشدة والحكم في القضايا الشائكة والعدل ـ حسب رأي حسان بن ثابت ـ والكرم والحفاظ على أعراض العشيرة وحقوقها والاستعداد للقتال ـ حسب رأي حاتم الطائي ـ والخبرة في القتال والسهر على شؤون العشيرة دون وجل في الصعاب والمشورة والفتوة والزهد ـ حسب رأي لقيط بن يعمر الأيادي.

والعدل في الحكم والقيادة في المعارك والشجاعة في الحروب والصبر في الملمات وكرم الحسب والخلق الحميد ـ حسب رأي زهير بن أبي سلمى ـ والشجاعة في الحرب وتحدي الملوك ـ حسب رأي كليب ـ والكرم والشجاعة وسداد الرأي ـ حسب رأي الممزّق العبدي ـ والحلم حسب رأي مالك بن حريم، والتواضع حسب رأي عوف بن الأحوص. والتحشد والكرم والتجاوب مع إرادة العشيرة، حسب رأي معاوية بن مالك. والكرم والحكم الصواب والبلاغة وتحمل المصاعب وسهولة انقياد الناس لهم ـ حسب رأي عبيد بن

(٩٢) ن.م، الجزء الرابع، ص ٤٧٨.
وخندف: اسم امرأة تنسب إليها قبائل مضر.
القريع: السيد، المطبقات جمع المطبقة، الداهية العامة، وناب القوم: رئيسهم. النصاب: الأصل.
(٩٣) د. يحيى الجبوري، قصائد جاهلية نادرة، م.س، ص ١٣٢ ـ ١٣٥.
رجراجة: كتيبة ضخمة، السنور: حملة السلاح.

عبدالعزى السلامي، وكرم النسب وشراسة مقاتلة العدو والقيادة في الملمات، والبلاغة والدبلوماسية والدفاع عن العشيرة حسب رأي دختنوس.

وهكذا نرى - في الشعر الجاهلي - القبيلة هي الاطار الأساسي للوحدة السياسية التي يجب لتصلح أن تكون منظمة لها قيادة تحمل صفة الاستمرار والصلاح تؤخذ عن طريق الشورى، وتتوافر فيها صفات الشجاعة والكرم والقدرة على الحكم في القضايا المشكلة والعدل في الأحكام وتحمل المصاعب والشورى في العلاقة بالمحكومين والدفاع عن مصالح القبيلة.